

## فن القصة في الأدب المصري الحديث للأستاذ هلال أحمد شتا

طالمتنا (الرسالة) القراء ، في عددها رقم ١٥٧ ، بمقال طلي للكاتب الأدب الأستاذ محمد طلي غريب ، ألم فيه بدراسة شاققة لتناج قصصى مصرى شاب . . وقد مهد لدراسته هذه بمقدمة تناول فيها فن القصة في الأدب المصرى الحديث .

ولقد كانت هذه المقدمة القصيرة - كما دعت الحال - لمحة خاطفة ، واللامة مقتضبة ، جال فيها قلم الكاتب جولة سريعة كما تجرى أحداث الدنيا في عصرنا الحاضر . ولكنها ساقت الى رأسى هذا البحث الذى أطلع القراء به اليوم : وهو بحث في القصة للمصرية ترويت فيه بعض التروى ، لأتمكن من الدراسة الهادئة غير العاجلة ، ولألم فيه بتاريخ القصة في الأدب العربى ، وبقيمة هذا الفن الجليل ، وبنشأته في الأدب المصرى الحديث ، وبالداوس القريبة التى تأثر بها منشئو القصة في مصر ؛ ثم بما حظيت به من جهود الأدباء المصريين ، وما بلغت هذه الجهود من توفيق وما قطعت في طريقها نحو السداد

\*\*\*

ويجدر بنا - قبل أن نوغل في الحديث - أن نتمعرض ما لهذا الفن الجليل من آثار جليلة في تكوين النفوس والعقول على السواء . فالقصة الناجحة القريبة من الكمال الفنى ، أبلغ تأثيراً في النفس ، وأقوى سلطاناً على العقل ، من أى عمل فنى آخر . . لأن الفنون الجليلة عامة تفعل في النفس فعلاً ، ولا تقوى على أن تفعل في العقل شيئاً . . وإذا نظر الانسان الى لوحة فنية بالغة نهاية الكمال ، أو الى تمثال أفرغت فيه مبقرية فنان موهوب ، أو إذا استمع قطعة موسيقية تصافرت فيها براعة فنان موهوب ، الواضعين والمذاقين ، فستطنى على نفسه موجة من الشعور بالسرور أو باحساس يشبه السرور والنشوة ، ولكن عقله لن يتأثر بذلك شيئاً . . في حين أن القصة الناجحة قد تخلق من قارئها إنساناً

الصعب الآن أن تبين طورها المقبل ؛ ذلك أن سيرها يتوقف كثيراً على سير الحوادث في اسبانيا ؛ بيد أنا نستطيع أن تبين بعض وجوه الخطر الذى يهدد السلم الأوروبى ؛ قابطاليا التى مازالت ثمة بفوزها في الحبشة تحاول أن تستغل الظروف ، وأن توجه ضربة جديدة إلى الامبراطورية البريطانية وإلى سيادة بريطانيا في البحر الأبيض ؛ وألمانيا التى جردت من مستعمراتها تحاول أن تجد فرصة للتدخل في شؤون البحر الأبيض ، وبخاصة في شؤون طنجة ومراكش ، وأن تنهز مخاوف انكلترا وفرنسا لتثير المسألة الاستعمارية من جديد ؛ وانكلترا التى شعرت منذ المأساة الحبشية بما يهدد سيادتها في البحر الأبيض من الأخطار تتحين الفرص لتؤكد نفوذها وهيبتها ؛ وفرنسا لا تطيق لحظة أن يتعرض مركزها في مراكش لأى تدخل أو خطر . ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة أن محرش ألمانيا بمركز فرنسا في مراكش يوم ضربت عليها الحماية الفرنسية كان من أهم العوامل في تسميم جو السياسة الأوربية قبيل الحرب الكبرى ، والتعميد لذلك الجو المضطرب الذى اجتمعت فيه أسباب الحرب

هذا وهناك ظاهرة تكشف عنها تلك المركة الخطيرة بين الديمقراطية والفاشية ، هى أن الفاشية تعمل بسرعة وعزم دون تردد أو تدبر للمواقب ؛ وأما الديمقراطية فإذالت مختلفة متنازعة ، وما زالت تمنح إلى التردد والتخاذل . وقد استطاعت الفاشية غير مرة أن تنهز فرصة هذا التخبط وأن تضرب ضرباتها في صميم الديمقراطية ؛ ومن جهة أخرى فقد أفسدت الروح الاشتراكية المتطرفة عقلية الجماعات ، وبثت فيها كثيراً من دواعى التخاذل والغرور ، هذا بينما تجد الصفوف الفاشية منظمة طائفة تعمل لأول إشارة تلقى إليها

فهل تستحيل تلك للمركة الدولية في القريب العاجل إلى صراع الحياة والموت بين النظم والمثل في أوروبا ؟ وهل تدفع أوروبا إلى طريق حرب جديدة ما زالت عواملها تجتمع في الأفق منذ حين ؟ هذا ما سوف تبين في المستقبل القريب . بيد أنه مهما كانت ظروف المركة الحالية ، ومهما كانت نتائجها ، فلا ريب أنها من عوامل الخطر في مصير السلم ومصير أوروبا

(\*\*\*)

القرآن جانباً خطيراً من جوانب الإعجاز ، واملأ قوياً في تهذيب نفوس أولئك الجاهلين ، وقوة رائحة تضافرت مع ما خص الله به محمدآ فاستطاعت أن تخلق من أشنات الجاهلين في شبه الجزيرة أمة لم يشهد مثلها التاريخ القديم أو الحديث

فالقرآن الكريم إذن أول من أدخل القصة على الآداب العربية ، ودفع بها إلى مقام العناية ..

وطبيى أن يعنى القرآن بالقصة ، فهو الداعى إلى الكمال العلمى والروحى والخلقى ، الجامع لأنواع العلوم والفنون عامة ، والدستور الخالد الذى ينظم حياة إنسانية عالية الأركان دأمة على الزمان

ولقد نال فن القصة بمد ذلك جانباً من عناية الناطقين بالصاد ، فكانت السير النبوية ثانية المحاولات الموقفة لخلق فن جديد فى اللغة العربية ، على أن هذه السير كانت فتحاً لباب واحد من أبواب فن القصة ، هو القصص التاريخى ، كما كان ما فيها من فن لا يزال بحاجة لكثير من العناية والموهبة .. وهى مع ذلك جهود لا يمكن أن ينفل ما لها من فضل عميم على القصة العربية الصميمة ..

وسايرت القصة العربية النهضة الفكرية التى دفع الاسلام العالم العربى إليها فتقدمت خطوات ليست ذات أثر كبير ، إذ كانت فى عصر الأمويين تكاد تقتصر على الرواية والارتجال ، ولم يلتفت إليها — كفن جميل له أثره وفعله — إلا بعض الرواة الذين دمجوا قصص الشعراء المحبين ، وأسبنوا عليها بعض الصناعة والحبكة والطرافة ..

ثم كان بمد ذلك المصران الباسيان الأول والثانى ، حين بلغ الرق الفكرى ذروته ، وحين فرغ العرب — الهادون ، الناعمون ، المتمدنون — ينشدون غذاء النفس والروح فى الفنون الجميلة ، وحين ضربوا فى كل جانب من جوانب التفكير الحر والابتكار . فكان طبيعياً أن يبلغ فن القصة أوج عزه وعظمته ، وكان طبيعياً أن يتخصص كبار الفنانين العرب لكتابة القصة وابتكارها ، كما تفرغ إخوانهم للموسيقى والنساء ، والرسم ، والكتابة ، والشعر ، وسائر الفنون العالية .. وكفى دليلاً على رقى القصة فى ذلك العصر الحافل بالروائع والبدايع « ألف ليلة وليلة »

جديداً ، وقد تسوق إليه رأياً يحتمل من عقله موضع العقيدة .. ومن أجل هذا عنى الفرييون فى نهضاتهم القديمة والحديثة بفن القصة عناية بليغة . فاستطاع قصصيوهم أن يخلقوا بنهم جماعات قريبة من الكمال .. وكان لهذا الفن فى نهضتهم الحديثة أثر جليل ملموس

وليس مغالياً من يقول : إن فن القصة قد أبرز الى ميدان الزمن والتاريخ فرنسا الحديثة ، وروسيا الحديثة ، وإيطاليا الحديثة .. وقد يكون كذلك خالق بريطانيا الجديدة ، ودافعها الى رقيها الفكرى والخلقى التى كادت تنفرد به بين الأمم . على أن الذى لا يقبل الجدل أن القصة قد تقدمت فى أوروبا وأمريكا فى العصر القريب الذى نعيش فيه ، فتمرت سوق الأدب ، وتتمت من الأدباء والتأديين بنساية غلبت كل عناية ، وإقبال فاق كل إقبال وجهود بذت كل جهود ..

وإذا كان الغرب اليوم فى أوج عزه وعظمته ؛ وإذا كان مع ذلك منكباً على فن القصة أسمى انكباب ، فذلك دليل ساطع على أن هذا الفن جدير بالعناية حقيق بالأهتمام ..

ولقد عرف الغرب كيف يمتحن بفنانيه عامة ، وقصصيه خاصة ، وكيف يكرمهم ويكبر فيهم ففهم وفضلهم العميم ، فأناج لهم أن يكونوا من قادة العقول فى المقدمة : وأن يفرغوا الى فهم فيعبونه وفهم وجهدم جيماً ، بما ضمن لهم من وسائل المعيشة والرزق الكثير ، وبما هيا لهم من ظروف يخلون فيها لدراساتهم الطويلة ، ويلسسون فيها جوانب الحياة فى مختلف الجماعات ومتباين الطبقات ...

\*\*\*

ولقد ظل الأدب العربى مفتقراً إلى القصة فى جميع عصوره الأولى ؛ ويلوح أن الأمية والبداوة فى العهد الجاهلى قد ساعدتا على إهمال الفنون الجميلة — ومن بينها القصة — وأن كل ما تمتع به العرب من ضروب الفن الجميل إذ ذاك هو ما حملته السنة الرواة من الشعر والنثر ، وما ترنم به حداة الأبل من موسيقى بسيطة ..

على أن النهضة الاسلامية التى حمل رايتها محمد صلى الله عليه وسلم ، كانت فى حاجة إلى القصة أيضاً ؛ لذلك كان القصص فى

— قبل ذلك — أن نذكر المدارس التي تخرج فيها بكلمة قصيرة :  
وهي المدرسة الروسية والمدرسة الإنجليزية ، والمدرسة الفرنسية . .  
فالمدرسة الروسية قد امتازت بمطابرة الواقع ومسايرته ،  
والتعلق بالطبيعة ومظاهرها وأجوائها — المموسة وغير المموسة —  
ثم بالصدق ، والهدوء ، والتهمك . .

والمدرسة الإنجليزية تعشقت الصدق أيضاً ؛ وأجبت التحليل  
النفسي الدقيق ، ووقفت في كشف النفس البشرية توفيقاً عظيماً ،  
واستطاعت أن تلمس المواطن وتترجم الأجانب في عمق  
وسداد عجبين . .

والمدرسة الفرنسية قد عشقت الخيال ، وتطرفت فبالنت  
بعض المبالغة ، غير متقيدة بالواقع أو المؤلف ، وبرعت في الحكمة  
الضنوعة راعة تثير العجب والاعجاب معاً ، ومالت إلى ترجمة  
الأسى والحزن البليغ . .

\*\*\*

وهؤلاء التاهضون بالقصة فريقان : كان لأحدهما الفضل في  
أن يحمل إلى العربية القصة الغربية الموقفة في معناها الحديث  
الذي دفنها إليه النهضة الأخيرة ، وأن يخلق في العربية أو يكشف  
في بحرها الزاخر عما يترجم لغة أبناء الغرب أصدق ترجمة ، ويزجها  
إلى أسمع العالم العربي سائفة المعنى ، عربية الرنين موفورة الحظ  
من بلاغة أبناء العرب وفصاحتهم . .

ولن ينسى قراء العربية فضل هذا الفريق أبداً ، فلقد فتح  
بجهوده وتمكنه وسلامته ذوقه العربي فتحاً في العربية جايداً ،  
وكان له — وهو المترجم — فضل لا يعلو عليه فضل الواضعين  
أو المبتكرين ، لأنه البوتقة التي صهرت جميل فن الفريقين ،  
فاستحال فيها فناً عربياً رائماً

ويتزعم هذا نفر ثلاثة من نوابغ الأدباء المصريين ، وهم :  
الزيات ، والنفلوطي ، والمنازي

فأما الزيات ، فيعني عن الاشادة بفضل أنه مدير هذه المجلة ،  
وأنه رجل يعرف فيه قراء العربية التواضع الكثير والتأني من  
الضوضاء ، وأخشى — وهو صاحب الحق في النشر — أن يحول  
تواضعه الفزير بين هذا البحث وبين ألبصار القراء وأسماعهم . .

على أن كل هذا لا يعنى من القول بأن جهده في سبيل القصة  
لن ينساه له تاريخ هذا الفن في الأدب العربي ، ولن ينساه له

إذا قصدنا جانب الخيال والابتكار ، ثم « المقامات » إذا نشدنا  
جانب الصياغة والاتقان

غير أن المحنة التي لحقت بالمرء والمريية ، بإحلال الدولة  
العباسية ، كانت كافية لأن تحطم الآثار العقلية والفنية والفكرية ،  
وأن تأتي عليها إتياناً قريباً . .

وإذا كان الباحث في تاريخ الأدب العربي — بعد المحنة  
العباسية — يترقب بين الحين والحين على بعض الآثار الفنية المتصلة  
بالقصة ، فليس ذلك إلا ترديداً لبعض ما خلفته يد الزمن من  
آثار الفنانين العباسيين . .

\*\*\*

والقصة في الأدب المصري ، حديثة العهد ، قرية الولد ،  
لأن المصور التي خلفت عصر الفاطميين ، قد أفسدت اللسان  
العربي الذي تكلم به المصريون منذ الفتح الاسلامي ، وأدخلت  
على سلاسته وجدالاته لكثرة الترك وجمجمة الفرنجة . .

ولسنا نستطيع أن نسمى قصص « أبي زيد » و « السيد  
البدوي » وأمثالها قصصاً عربية أو عربية ، فكلمها وليدة خيال  
مشعوذ وقلم مرصوص . .

إذن لم يشهد الأدب العربي المصري جهوداً تبذل في سبيل  
القصة الموقفة إلا بالأمس القريب ، منذ عشرات السنين ، وبعد  
أن استطاعت النهضة العلوية أن تقوم اللسان ، وتصلح التفكير ،  
وتنمي الخيال . . حين قامت طائفة من نوابغ الشبان تخلق  
القصة العربية في معناها الذي نعرفه الآن ، وهي طائفة كل  
أفرادها اليوم من الكتاب المتأثرين والأدباء البارزين . .

وإذا كانت العربية ، التي تحدث بها رعاة الابل والأنعام  
في شبه الجزيرة ، قد وسعت مدينة العباسيين وعلمهم الفزير ،  
فإنها قد وسعت كذلك كل ما جال في خواطر أولئك الشبان ،  
أو هؤلاء الكرام الكاتبين . وقد استطاع ذلك نفر — بما أوتي  
من فن خالص وموهبة — أن يزجى إلى العربية هدية لم تألفها  
من قبل أبداً . فلقد كان في محاولاته الموقفة متأثراً بالمدارس  
الغربية إلى جانب ما خص به من سليقة عربية حلوة الجرس موقفة  
المرى ، سديدة المعنى

وإنه لو أحب علينا أن نطوف بهذا النفر الجليل ، وأن نحض  
على نتاجه سريعاً ، لنسجل له فضله شاكرين . . ولسكننا نرى

كرام الكتاب ؛ هم : المازني ، وهيكل ، وتيمور ، وأبو حديد  
ولكل من الأربعة لون خاص يميزه من سواه  
فالمازني . أميز صفاته سلامة أسلوبه العربي وعلوه ، ثم جمال  
تهكمه وفكاهته ، وميله الى المزاح ، مع شدة احتفاظه بالأرستقراطية .  
وهو الى جانب هذا فنان من الطبقة الأولى ، فقد اجتمعت فيه  
فطرة الفنان ، والدراسة الطويلة المستمرة ، فأنجبتا للعالم العربي  
قوة عزيزة قليلة الوجود

وهو — على رغم كونه تلميذا مخلصاً للمدرسة الانجليزية —  
لا يستطيع أن يخفى على القارئ أنه تتلمذ على المدرسة الروسية  
أيضاً . وإذا كان دائم الانكباب على الأدب الانجليزي مولماً به  
ولماً شديداً ، فانه بطبعه وبسليقته الفنية ، كان فيما أنتج ميالاً الى  
المدرسة الروسية ، في هديئها ، وصدقها ، وتفكها ، وطبيعتها  
وان استطاع — بما كسب من دراسة — أن يترجم الأحاسيس  
ترجمة صادقة تميزها منشو القصة الانجليزية .

والذي قرأ المازني — المؤلف — في قصته « ابراهيم  
الكاتب » لا يمكنه بمد ذلك أن يندب حظ القصة في الأدب  
العربي الصميم ؛ لأنه يراها في قصة المازني خلقت قوية لأول  
عهدنا بالحياة ، ووجدت من روحه الفنانة ، وقله اللهم ،  
ودراسته الطويلة ، متكاملاً جداً بأن يحملها الى المقام الذي  
بلغته بين أبناء أوروبا وأمريكا ، لو قدر له أن يضع على عاتقه هذا  
الواجب الخطير

وكان هيكل فيما أنتج — وأول نتاجه قصة زينب — فرنسياً  
مخلصاً ؛ فهو يؤثر الصناعة والحبكة القصصية ، ويجب أن  
يضرب على أوتار تحمس ، وأن يعالج بمجوده موضوعاً ، غير متقيد  
بمذهب الفن للفن ، بل ذاهباً مذهب استغلال الفن للمصاحبة .  
ولقد أسبغ على فرنسية فنه روحاً عربية جميلة ، بما وفق إليه  
من براعة في الوصف ، وقدرة على التصوير الفاتن

ولاشك أن هيكل فنان بطبعه ؛ وقد كان خليقاً بأن يكون  
من عداد القمصين المتمازين لو عني بفنه عنايته بأدبه وعلمه ،  
ولو تابع استغلال روحه الفنية التي فطر عليها  
وكان تيمور — ولا يزال — مثلاً للقصصى المصرى الخالص ،  
وقد يكون تناول بالدراسة المدارس الغربية . . . ثم ترك نفسه  
بعد ذلك طليقة ، وأطلق قلبه حراً ، فإذا هو المصرى في فنه وأدبه

أولئك المتادبون الشبان الذين عرفوا من مبراته معنى القصة  
الناجحة ولونها ، والذين مضوا بعد ذلك يقفون أثره ويتلمسون  
الطريق التي مهدها لهم وفتحها أمام تفكيرهم . . حين نقل إلى لغة  
الضاد « لاسرتين » و « جوت » في أبداع ما صورت الشاعرية  
الفرنسية والألمانية ، وأنجب الخيال اللاتينى والجرمانى . . وسبق  
« رفايل » « وآلام فرتر » على الأيام مثلاً بديعاً للتمريب الكامل  
الذى تكاد تغلب فيه قوة الترجمة ، كما بقيت « كليلية ودمنة »  
تتحدث إلى يومنا هذا بفضل ابن للفتح

وأما المنفلوطى ، فقد كان جديراً بأن يرجى إلى القصة فضلاً  
أكثر من فضله ، فهو الأديب بفطرته والقصصى بفطرته . .  
ولو شاء الله وبسط أمامه سبل دراسة هذا الفن ، أو قارب بين  
لسانه وبين لغة من اللغات الحية ، لكسبنا فيه قصصياً عظيماً .  
ولكان نتاجه في فننا هذا نتاجاً باقياً خالداً . . على أنه رغم هذا  
مشكور الأثر باقى الذكر ، مما تاز بما خص به من أدب رائع ،  
وذوق فنى بديع ، وجدالة تفعل في لسان الناشئة فعلاً محموداً

وأما المازني — المترجم — فيالغفة التوفيق ، كرميله الزيات ،  
لوفرة علمه بلغة الانجليزية ، ولأنه أديب عربي قويم اللسان ، مفلور  
على الفن . . وقد ترى فيما بعد — أن المازني المؤلف أسدى إلى  
القصة يداً فوق يده هذه ، واكن الفضل لا يحو الفضل على  
حال ؛ وسبق المازني المترجم خالداً في قصة « ابن الطبيعة » فقد  
كان فيها عظيماً حقاً ، إذ استطاع أن يختار للمربية أروع أمثلة  
الأدب الروسى ، كما استطاع أن ينقل فن أبناء الروس نقل الفنان  
والأديب الموهوب

\*\*\*

والفريق الثانى هو فريق المتكبرين ، أو الواضمين ، وهو  
أول من ساق جمهور القارئ والمتمنين بالأدب إلى فهم معنى  
القصة الذى عرفناه به الثرييون ؛ ونستطيع القول بأن هذا الفريق  
أحسن إلى القصة حيناً من الزمن فعرفت له أيديه ، ثم أهلها  
اليوم إهمالاً تأخذ عليه وتشكوه منه . . ولو استمر ذلك النظر  
فوهب القصة عهد رجولته كما وهبها عهد شبابه ، لاستطاعت أن  
تبلغ شأنها غير شأنها ، ومزلاً فوق منزلها . .

وهؤلاء الذين يستطيعون أن يشقوا طريقهم ليأخذوا مقام  
الصدر بين آلاف المؤلفين وأشياء المؤلفين ، ليسوا إلا أربعة من

## ٥ - دانتى أليجييرى

والكوميديا الأثينية

وأبو العلاء المعرى ورسالة الغفران

الجزء السادس من الأينيد (AENEID VI)

ذكرنا في الكلمة الأولى أن دانتى في كوميدياه كان مقلداً لسلفه الشاعر الرومانى العظيم فرجيل ، وأنه كان يحفظ الجزء السادس من ملحمة الأينيد عن ظهر قلب ، وأنه احتذى في قصيدته مثال فرجيل ، والآن نعطي القارىء ملخصاً سريعاً لهذا الجزء السادس ليرى أننا لم نكن منالين حين جزمنا أنه لم يقلد أبأ العلاء ولا أسطورة المراج التي سنعرض لها في كلمة مستقلة يبدأ تنازى أن إعطاء القارىء ماخصاً موجزاً للجزء السادس من الأينيد دون أن نعرض للأجزاء الخمسة السابقة سيئوه هذا اللخص ويجمسه مبتوراً ، وقد يذهب بجمال الأينيد التي تعتبر أطيب طرفة في الأدب اللاتينى كله ، لذلك آثرنا أن نعرض للأجزاء الخمسة الأولى في كلمة خاطفة نخلص منها إلى الجزء السادس إتماماً للفائدة

سقطت طروادة ، وأضرم الأغرريق النيران فيها وروّع الأهلون ولاذوا بالبرارى والقفار المحيطة بمدينتهم ، وذهب البطل إينياس Aeneas يبحث عن أبيه وزوجه وولده ليفرهم من هذا البلد ، ولينجو بمره الثالث وعجده المؤمل من ذل الأسار ، ولكن أباه كان رجلاً شيخاً خائراً القوة ، فاحتمله إينياس وانطلق يمدو به في شوارع المدينة التاججة ، حتى إذا وصل إلى شاطئ الهلسنت (الردنيل) افتقد زوجته فلم يجدها ، ووجد عنده طرواديين كثيرين يترمون الحرب من وجوه الهيلانيين فجعلوه رئيسهم وعملوا في بناء أسطول ضخم أبحروا فيه إلى تراقيا حيث نزلوا إلى البر وأخذوا في تأسيس طروادة جديدة بدل طروادة الآسيوية ، لولا أن أوحى إليهم<sup>(١)</sup> أن هذه أرض ملهونة ، فركبوا في سفنهم وأبحروا إلى جزيرة ديلوس حيث سمعوا صوت أبوللو بأمرهم (أن يهجروا الجزيرة ويبحثوا عن أرض أهمهم الأولى حيث

(١) تركنا هنا أسطورة بوليدور الذي قتل أخيل في حروب طروادة وذلك لضيق المقام

وحياته ، وإذا هو عميق في مصريته إلى المكان الذي يجب أن يكون عنده المصرى العربى الشعى

والذى قرأ تيمور في قصته الطويلة « الاطلاع » أو في قصصه القصيرة التي أخرجها قبل ذلك كتباً ، يلمس فيه ميلاً إلى هذا الفن شديداً ، ويؤمل منه بعد ذلك انقطاعاً للقصه وإشاراً لها على كل شيء ، حتى يسد بذلك فراغاً يجب ألا يترك شاعراً ، أو يباح هباء للمابئين السيبين إلى القصه وتاريخها شر الآساءه .. وكان فريد أبو حديد مصرىاً كذلك دائماً ، حين أخرج لنا « ابنة الملوك » و« مذكرات الرحوم محمد » ثم عميقاً في مصريته أيضاً . ويبدو أن دراسته التاريخية الطويلة ، قد انحرفت به إلى القصه التاريخية فمشقتها عشقاً عظيماً ، ولم يرض أن يحيد عنها إلى غيرها من جوانب فن القصه

وإذا كانت دراسة التاريخ قد غمرت نتاجه وأفرغت عليه من لونها فيضاً ، فليس ذلك هو الشيء الذى يتميز به أبو حديد أو يتفرد ، وإنما الذى يتميز به على القصصيين المصريين جميعاً هو الخيال الخصب الذى لا يحد ، والقدرة الفائقة على تصوير الحياة في غير المصور أو حاضرها أو مستقبلها

وهذا الخيال ، وهذه الطبيعة ، وهذه الدراسة ، كانت قادرة على أن تجعل من أبى حديد هوناً للقصه المصرية شديداً ، ومناصراً قوياً ، وفارساً مبرزاً ، لو أقبل يدخل الميدان ويوغل في ثناياه .. وهو التقدير على ذلك أى قدرة ..

ولقد كان لنا أن نضع الدكتور طه حسين بك في عداد القصصيين النابنين ، حين قرأ له كتابه « الأيام » الذى بلغ به شأواً من الكمال عظيماً ، والذى استطاع أن يفرغ في سطوروه فناً عربيقاً ومقدرة فائقة تطالع القارىء فتأخذ عليه حسه .. غير أن الدكتور - فيما عدا الأيام - لا يستطيع أن يكون قصصياً .. ولو أراد الله ووهب الدكتور نعمة الأبصار ، لكسب فن القصه فيه خير نصير وأحسن عون ، ولكان لصر والشرق العربى أن ينتظروا منه خيراً كثيراً ، لأنه - على حالته تلك - كان يحس إحساس البصرين ، ويدرك ما ييجول بخواطرم ، أو ما يضر كيانهم من عوامل نفسية يدفعها إليهم الوسط الذى يحيط بهم - بكل ما فيه

(التيه في السد القادم)

لهول أحمد ستا  
بكرتيرية مجلس الشيوخ